الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري لمحمد مرتاض – دراسة نقدية

Thematic in the Algerian childhood poetry of Mohammed Mortadh, a critical study

د. موشعال فاطمة[1]
Dr: MOUCHAAL Fatima
[1] جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)
الإيميل المهني: fatima.mouchaal@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2020/12/17	تاريخ القبول: 2021/01/05	تاريخ النشر: 2021/01/28

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن تلقّي الباحثين الجزائريين للنقد الموضوعاتي، ولعلّ أبرزهم الباحث محمد مرتاض الذي يعد أوّل من حاول تطبيق مفاهيم وآليات هذا المنهج في مقاربة الخطاب الشعري، في مدونته "الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري"، لذا نسعى من خلال هذه القراءة النقدية تقصي طبيعة توظيفه للنقد الموضوعاتي في هذه المدونة النقدية، من خلال تبيان المنهج الذي اعتمده في التحليل، وكذا استيضاح أهم الآليات النقدية في مقاربته لشعر الطفولة الجزائري.

الكلمات المفتاحية: النقد الموضوعاتي، محمد مرتاض، المنهج، نقد النقد.

Thematic in the Algerian childhood poetry of Mohammed Mortadh, a critical study

Abstract

The Study aims at showing that Algerian researchers have received thematic criticism. Perhaps, the most prominent of them is Mohammed Mortadh who is the pioneer in applying the concepts and mechanisms of this approach in the poetic discourse approach, in his blog tagged 'Thematic in Algerian Childhood Poetry'. Through this critical reading, we attempt to explore the nature of his employment of thematic criticism in his blog by showing the methodology he adopted in the analysis. We are also going to clarify the most important critical mechanisms in his approach to Algerian childhood poetry.

Keywords: Thematic criticism, Mohammed Mortadh, Approach, Critic of criticism.

[1] **المؤلف المرسل: د.** موشعال فاطمة، **الإيميل:** fatima.mouchaal@univ-mascara.dz

1. مقدمة:

تعد الموضوعاتية من أهم المناهج النقدية في مقاربة الخطابات الأدبية، وقد ظهرت في أوربا إبان ستينات القرن الماضي، مع موجة النقد الجديد، كما ظهرت في العالم العربي متأخرة مقارنة بالغرب بعقد من السنوات، بفعل تصاعد النقد المضموني، وشيوع القراءات التأويلية والإيديولوجية، وكذا تبلور التحليل الوصفي البنيوي واللساني.

ظهر النقد الموضوعاتي في فرنسا – فترة الستينات من القرن الماضي– بفضل جهود كل من: جون بول ويبر J.P.Weber، وجون بيار ريشارد J.P.Richard، في خضم الفلسفة الظواهرية التي فحواها أن معرفة العالم لا تتأتى بغير تحليل معنى الذات، لذا فإن "المفهوم الرئيسي للفلسفة الظواهرية هو مفهوم قصدية الوعي" (وغليسي، 2010م، ص149) ، لتحقق بذلك إشكالية أنه ليس هناك موضوع بدون ذات .

والظاهراتية هي الفلسفة التي تعوض الجوهر في الوجود، ولا يعتقد أنه يمكننا فهم الإنسان والعالم إلا عن طريق فعاليتهما، ولذلك فإن المنهج الموضوعاتي يستفيد من الظواهرية بما تحمله من بنية تعددية، فالدراسة الموضوعية تتجه نحو دراسة الظهورات المتعددة الموضوع الواحد من أجل الوصول إلى البنية الشفافة في النهاية، يعني البنية المفهومية (سعدي، 2011م، ص151).

2.تعريف الموضوعاتية:

1.2 المفهوم اللغوي:

لعل ما استوقفنا أثناء الحديث عن الموضوعاتية هو مصطلح الموضوع le sujet الذي اشتق منه الفرنسيون اسم هذا المنهج وهي في اللغة تعني المادة، أما اصطلاحا فهي "الموضوع الأثير لدى فنان أو كاتب أو في عصر ما (...) وتستعمل أيضا في الاصطلاح الموسيقي بمعنى القطعة الميلودية أو الإيقاعية التي يبنى عليها العمل الموسيقي" (وغليسي، 2002م، ص169)، وهذه الدلالات لا تختلف عن معنى(موضوع) في العربية إذ تدل على "المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه" (وغليسي، 2002م، ص169).

فالموضوع هو وحدة من وحدات المعنى، وهو وحدة مشهود لها بخصوصيتها عند كاتب ما، كما أنها مشهود لها بأنها تسمح انطلاقا منها بنوع من التوسع الشبكي أو الخيطي أو المنطقي أو الجدلي ببسط العالم الخاص بهذا الكاتب (سعدي، 2011م، ص151).

يشتق مصطلح الموضوعاتي Thématique في الحقل المعجمي الفرنسي من كلمة Thème وهي التيمة، وقد وردت هذه المفردة بعدة معان مترادفة كالموضوع، الغرض، المحور، الفكرة الأساسية، العنوان، الحافز، البؤرة، المركز، والنواة الدلالية...وغيرها، ويقابل مفردة Thème لدى اللسانيين الوظيفيين الجدد مصطلح التعليق Rhème لأن التعليق عبارة عن موضوعات جديدة، أو أخبار تسند إلى المسند إليه، أو تضاف إلى الفكرة الرئيسية المحورية أو النواة البؤرية (حمداوي، 2011م).

وقد أطلق جان بول ويبر مصطلح الموضوعاتي أو التيمي على الصورة المتفردة والملحة في تكرارها وأطرادها المتواجدة بشكل مهيمن في عمل أدبي عند كاتب معين (أوستين، ورونيه، 1972م، ص24)، فهي بمعنى المادة التي يبني عليها الكاتب خطابه الأدبي.

2.2 المفهوم الاصطلاحي:

إن النقد الموضوعاتي هو المنهج الذي يبحث في أغوار النص لاستكناه بؤرة الرسالة مع التنقيب عن الجذور الدلالية المولدة لأفكار النص، قصد الوصول إلى الفكرة المهيمنة فيه، وتحديد نسبة التوارد لتحديد العنصر المكرر فكريا سواء في الخطاب الشعري أو الخطاب النثري، وتهدف الموضوعاتية إلى استخلاص البؤرة المعنوية، والخلية العنوانية والجذر الجوهري والفعل المولد والنواة الأساسية التي يتمحور حولها النص إسنادا وتكملة عبر عمليات نحوية إبداعية كالحذف والزيادة والتحويل والاستبدال.

فقد ارتبط النقد الموضوعاتي بالحقل الأدبي بوصفه المذهب النقدي الذي يتمحور حديثه حول "الموضوعات المهمة والصورة الملحة والمنفردة المتواجدة في عمل كاتب ما" (علوش، 1989م، ص30)، وقد ورد الموضوع في مصطلحات (تحليل الخطاب) لدى دومنيك منغييو مرادفا لمصطلح (Tepic)، ويتحدد في شكل من أشكاله في "بنية دلالية كبرى للنص(...) كما يتحدد في نطاق النقد الموضوعاتي على شكل شبكة من الدلالات، أو عنصر دلالي متكرر لدى كاتب ما في عمل ما" (وغليسي، 2010م، ص149).

ويعد التكرار سمة لازمة للموضوع، لا ينهض إلا عليها في مجمل تعاريفه، ومنها تلك التعريفات التي أوردها ميشيل كولو على أن الموضوع "مدلول فردي خفي ومادي، ويعبر عن العلاقة الانفعالية لكائن من العالم المحسوس، يظهر ضمن النصوص من خلال تكرار تجانس للتبدلات، وتشترك مع موضوعات أخرى من أجل بناء الاقتصاد الدلالي والشكلي لعمل ما" (وغليسي، 2010م، ص150).

يعد النقد الموضوعاتي جزءا أو مستوى من مستويات التحليل البنيوي أو النصاني، الذي لا يتجاوز الشكل التصنيفي لنظرية الحقول الدلالية، إذ تعد هذه الأخيرة (نظرية الحقول الدلالية) من أهم المفاهيم

الأساسية للموضوعاتية في حصر المفردات المطردة وتصنيفها إلى موضوعات طاغية تحدد مقصدية النص، ولا يختلف هذا التوجه عن التحليل البنيوي سوى في أنه يركز على تحديد الموضوع أو عدد الموضوعات التي يعالجها كاتب في نص ما.

يتأسس النقد الموضوعاتي على جملة من والمفاهيم وقد أوردها الباحث عبد الكريم حسن في ما يلي: الموضوع Sujet، المعنى Le sens، الحسّية La sensation، العلاقة La relation، التجانس L' assortiment، الدال والمدلول Signifiant et signifié، البنية La structure، العمق La profondeur، المشروع Le projet، شكل المضمون La forme de contenu، والمحايثة L' immanence (ينظر: حسن، 2006م)، وهي أهم المقولات والمصطلحات التي أوردها الباحثون الغربيون في ما يخص هذا المنهج.

3.اتجاهات النقد الموضوعاتي: قد عرف النقد الموضوعاتي اتجاهين هما:

1.3 الموضوعاتية البنيوية:

تزعمها جون بول ريشارد بصورة خاصة، وتنحو منحا بنيويا ظاهرا، إذ تسعى إلى اقتناص تفرعات الموضوع، من خلال تواترها في بنية النص، مركزة على الإحصاء في ذلك.

.2.3 الموضوعاتية الجذرية:

تبدو جلية مع جون بول ويبر، ولها علاقة كبيرة بمدرسة التحليل النفسي، وقد حددها الباحث سعيد علوش على أنها "عبارة عن حدث ينتج من جراء صدمة تعود إلى شباب – إن لم نقل طفولة– الكاتب" (علوش، 1989م، ص11) ، وهذا ما له علاقة بالجانب السيكولوجي.

4. نماذج عن النقد الموضوعاتي في المنجز النقدي العربي:

في واقع الأمر أن الاهتمام بهذا التوجه في نقدنا العربي يعد ناقصا وقليلا مقارنة بالمناهج النقدية الحداثية الأخرى، نظرا لغياب المعرفة المفهومية حول هذه النظرية، التي لم تبلغ الوطن العربي كمنهج قائم بذاته إلا مع بداية الثمانينات من خلال مؤلف الباحث عبد الكريم حسن (الموضوعاتية البنيوية، دراسة في شعر السياب) الذي يعتبر فاتحة عهدنا بهذا التوجه، وهو عبارة عن أطروحة دكتوراه دولة ناقشها صاحبها في جامعة السربون بباريس سنة 1980م، وأشرف عليها أندري ميكائيل وغريماس، وقد ترجم مصطلح Thématique بالموضوعية، على غرار سعيد علوش الذي انتصر لمصطلح الموضوعاتي، كما يبرز في

عنوان مؤلفه (النقد الموضوعاتي)، غير أنه وظّف مصطلح التيمية في دراسات أخرى (علوش، 1984م، ص33).

استعمل بعض الباحثين العرب مصطلح (الظاهراتي، الفينومينولوجي)، وقد برز لدى الباحثين: الرويلي والبازغي في مدونتهما المشتركة، أما خلدون شمعة يوظف (الاتجاه التيمي) مرة و(نقد االموضوع) مرة أخرى، أما حميد الحميداني فضّل اعتماد صيغة المنهج الموضوعاتي لشيوعه متخذا منه عنوانا لبعض فصول مؤلفاته، ونجد عبد العزيز شبيل استعمل مصطلح (الغرضية، والمضمونية) في ترجمته مؤلّف (مدخل إلى جامع النص)، أما سامي سويدان وظّف مصطلح المنهج المداري في مؤلفه (جدلية الحوار في الثقافة والنقد).

كما نجد –أيضا– بعض التقاطعات مع الموضوعاتية في كتاب (صورة الفرنسي في الرواية المغربية) للباحث عبد المجيد حنون الذي تتبع موضوع (صورة الفرنسي) في عدة روايات مغربية، كما يلتقي عبد المالك مرتاض بصورة غير مباشرة مع هذه القراءة في مؤلفه (القصة الجزائرية المعاصرة) في قسمه الأول الموسوم (في مضمون القصة الجزائرية المعاصرة)، الذي قسّمه إلى مضمونين: اجتماعي (الهجرة، الأرض، السكن) ووطني، مستخلصا أن المضمون الاجتماعي هو الموضوع الرئيسي، والمحاور الثلاثة هي موضوعات فرعية.

يضاف إلى هذه المحاولات دراسة الباحث عمار يزلي حول الأهزوجة النسوية، وهي دراسة تم نشرها في مجلة تجليات الحداثة، والمعنونة ب(مقاربة موضوعاتية، دراسة الأهزوجة النسوية عن حرب التحرير)، وقد أورد الباحث – بداية– مقدمة حول المنهج الموضوعاتي، إذ ربطه بالميثولوجيا والمنهج النفسي، ليصل إلى أن الموضوعاتية "تتصرف إلى الاهتمام بالدراسات الداخلية للنص عن طريق تحليل لانسوني" (يزلي، 1997م، ص175– 176)، وقد وظف جملة مصطلحية مرتبطة بهذا التوجه (التيمات، الهاجس المركزي، الجذور، العائلات اللغوية، التكرار، المراكز الثانوية،...)

من خلال هذه الدراسات نحن أمام جملة من المصطلحات ترجمة لمصطلح Thématique فنحن مخيرون بين (الموضوعية، الموضوعاتية، التيمية، الظاهراتية، العرضية، الجذرية، المدارية،...) أو ربما مصطلحات أخرى لم تدرج ضمن هذه الدراسة، لكننا نوظف الموضوعاتية لشيوعها.

سجل الباحث جميل حمداوي أن أغلب الدراسات العربية في النقد الموضوعاتي تعد "بمثابة دراسات مضمونية تتّسم بالسطحية تارة وبالعمق التحليلي تارة أخرى، وهناك أنواع من المقاربات الموضوعاتية في

النقد الأدبي العربي: نقد موضوعاتي ذاتي انطباعي ونقد موضوعاتي موضوعي، وموضوعاتية مضمونية، وموضوعاتية شكلية، كما أن ثمّة موضوعاتية تأويلية مرجعية وموضوعية بنيوية وصفية" (حمداوي، 2009م، ص23)، فهي في مجملها دراسات مضمونية، ذلك لأنها تفتقر للتصور النظري والمنهجي للموضوعاتية.

لا يزال النقد الموضوعاتي في بداياته سواء في النقد الغربي أو النقد العربي، فقد حاول أنصار هذا التوجه (بيار ريشارد، جون بول ويبر، عبد الكريم حسن،...) جعله منهجا مستقلا قائما بذاته، إلا أنهم لم يتمكنوا من تقديم نظرية متكاملة سواء على مستوى التأسيس النظري، أو على مستوى الإجراء التطبيقي، لذا يظل هذا التوجه مستوى من مستويات التحليل البنيوي، إذ لا يتجاوز الشكل التصنيفي لنظرية الحقول الدلالية.

5. قراءة نقدية في مدونة "الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري:

إن تلقي هذا الاتجاه في النقد الجزائري الراهن يكاد يكون منعدما مقارنة ببقية المناهج النقدية الحداثية، وهذا في ظل غياب الوحدة المفهومية الخاصة به في الدراسات الجزائرية، وتعدّ دراسة الباحث محمد مرتاض الموسومة ب (الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري) أول ممارسة جزائرية تفصح صراحة عن انتمائها المنهجي للنقد الموضوعاتي، وقد حاول تطبيق آلياته على أربع مجموعات شعرية:

- مصطفى الغماري (الفرحة الخضراء).
- محمد ناصر (البراعم الندية).
- حرز الله بوزيد (حديث الفصول).
- يحيى مسعودي (بسمات).

ينوه الباحث في البداية بأن الموضوعاتية مصطلح جديد في الأدب العربي يعود إلى الثقافة الغربية، وقد عرّفها بأنها "مجموعة من الموضوعات يلتئم شملها وتصرف معانيها وتحصى أفكارها ضمن موضوع واحد، أو بحث واحد، ومن المفروض أو المرغوب أن تقتصر على غرض معين كالوصف أو الغزل وغيرهما، لكن اعتبرنا في بحثنا هذا الشمول لا التخصيص" (مرتاض، 1993م، ص:ج).

إن الباحث يخلط في هذا التعريف بين (الموضوعاتية) و (الموضوع) فهو تعريف للموضوع لا الموضوعاتية، غير أن النقد الموضوعاتي هو منهج للدراسة ولا يميل إلى الموضوع بالمعنى الدقيق، بل يعد هذا الأخير جزءا منه.

قام الباحث برصد القصائد التي تدخل ضمن محور واحد بناء على توحّد التيمات لا على اختلافها" (مرتاض، 1993م، ص02)، وقد تراءى له بعد مستويات عدة من القراءة أن لهذه الدواوين اهتمامات تكاد تكون متّحدة، وقد حصرها الباحث في أربعة موضوعات فرعية: (مرتاض، 1993م، ص02).

أ– محبة الله والرسول، والاستمساك بالدين الإسلامي.

ب– حب الوطن وتخليد الثورة وتمجيد الشهداء.

ج– حب الطبيعة لكل ما فيها من متحرك وجماد.

د– حب البيئة المدرسية وما في حكمهما.

رصد الباحث في هذا الفصل المعنون بـ (الدراسة الموضوعاتية) دراسة كل محور على حدة، معتمدا الطريقة الإنشائية، إذ أورد أبياتا شعرية وشرحها شرحا تقليديا، بإعطاء المضامين النهائية للنماذج الشعرية المختارة.

توصل الباحث في خاتمة الفصل إلى أنه "قد استطاع الشعراء الأربعة أن يوصلوا إلى الطفل ما يتسلح به في حياته من خلال الموضوعاتية المشتركة لهم والتي دارت حول محور كبير أو موضوع كبير هو (الحب) لله وللوطن والطبيعة والبيئة المدرسية" (مرتاض، 1993م، ص24).

1.5. الصورة الفنية:

عرض الباحث في الفصل الثاني الصورة الفنية وخصائصها في شعر الطفولة، متوقفا عند كل شاعر على حدة، كالصورة الآتية في قول الغماري:

وَبَايَعْتُمْ الحقَّ والحَقُّ صَوْتٌ.: فَصِيحٌ إذا باطل جمجما

سجّل الباحث مرتاض أن مفردة (المبايعة) هي المفتاح السحري الذي يفك كل الألغاز، فلغويا معناها التعهد والالتزام بالطاعة والولاء، لكن معناها هنا أرقى وأرفع فهي مبايعة خلود لخلود، موضحا إياها في الترسيمة التالية: (مرتاض، 1993م، ص29)

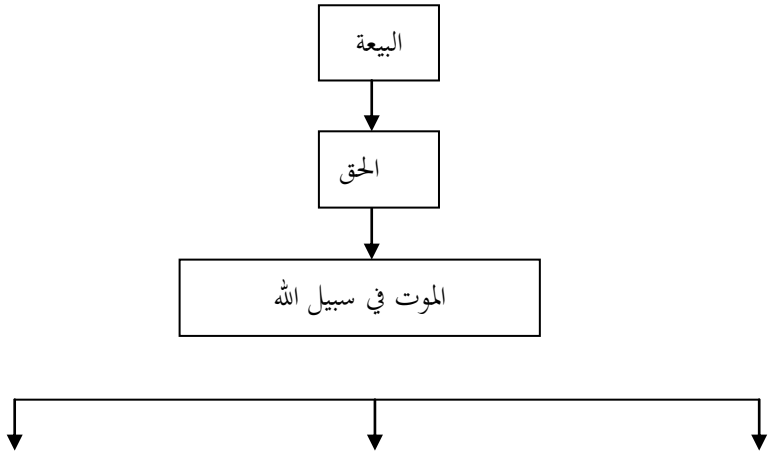

وقد اكتملت صورة المبايعة أكثر بعدما ربطت بصورة الحق، وهي صورة لا ترتبط بزمان ولا بمكان، بل هي عالم فسيح الأرجاء، كثير التجول.

بعد تقصّي الباحث لعدة صور فنية مختلفة لدى الشعراء الأربعة، عرض الخصائص المشتركة للصور الفنية، وقد حصرها في ما يلي:

1- الورد والزهر وما في حكمهما.

2- الماء وما في حكمه.

3- التشجير وما يندرج تحته من صفات الاخضرار.

4- الثورة وما يدخل تحتها.

5- الحيوانات والطيور وغيرهما.

وقد اعتمد الباحث الإجراء الإحصائي أثناء رصده للمعاجم التي تندرج ضمن هذه الخصائص، وقد تتبّع الصورة الفنية بأسلوب سهل وواضح، ولم يتعمق في كوامن التأويل، ولعل هذا يرجع إلى بساطة الأبيات الشعرية وسهولتها ولأنها نظمت للأطفال فلا بد أن تتوافق مع قدرتهم المعرفية وثقافتهم العلمية.

2.5. **الفضاء الشعري:** وقد حصره في ستة أنواع:

الفضاء اللامتناهي (اقطفوا ،الخيمة،...)، التضايق بالفضاء– الفضاء المتحرك– الفضاء المغلق– الفضاء المحاط بالمهاول، الفضاء المتعدد (تعدد الصفات)، فقد ربط الفضاء الشعري بالجانب الدلالي لشعر الطفولة الجزائري.

نخلص إلى القول أن التوظيف الجديد للحيز لدى الباحث محمد مرتاض يفجر طاقات تحليلية للقارئ، وأخرى إبداعية للمبدع، حين يدرك أنه هناك قارئ على جانب كبير من الفطنة بأهمية الحيّز في العمل الإبداعي عامة والشعري خاصة، كما أنه وظف مصطلح الفضاء مقابل مصطلح Espace، وهو الطرح الذي اختلف فيه مع عديد الباحثين الذين انتصروا لمصطلح الحيّز.

3.5– الزمن الأدبي:

يعد مستوى الزمن الأدبي إجراء جديدا في النقد الأدبي، والغاية الفنية منه أنه يتيح للدارس "أن يتولج في أعماق النص من رؤية زمنية قائمة على التوالد الزمني، وعلى دراسة العلاقة الحداثية بين الدوال ومشكلات النص على اختلافها" (مرتاض، 1986م، ص109)، فالزمن الأدبي زمن إنساني "فهو زمن التجارب والانفعالات، زمن الحالة الشعورية التي تلازم المبدع، فهو ليس زمنا موضوعيا أو واقعيا، بل هو زمن ذاتي ونسبي من مبدع إلى آخر، فهو غني بالحياة الداخلية للفرد والخبرة الذاتية له" (بوعزة، 2010م، ص87)، لذا أولاه الباحث مرتاض أهمية في مدونته النقدية.

فقد سجّل الباحث أن "الزمن الأدبي أشمل وأكثر احتواء لمختلف ذلك كله، فهو داخل الكلمة إن لم يكن هو اللفظة نفسها في أحايين كثيرة، لأنه نشأ عما تلده هذه الكلمة المنفتحة الرحم به، ومثل هذا الزمن هو محور الدارسين المحدثين" (مرتاض، 1993م، ص71)، وقد رصده الباحث في عدة أنماط منها: الزمن المعتز بنفسه، زمن الاستهزاء والسخرية، زمن التفاخر والتعاظم، زمن التفاؤل والأمل، وزمن التحدي.

يتّضح من خلال ما تقدّم أن الربط بين البنى – الصورة، الفضاء، والزمن– والموضوع (الحب) لدى الباحث يكاد يكون منعدما سوى بعض المقاربات القليلة التي ربطها بدلالات الطفولة عموما.

4.5. المعجم الشعري:

يشكل المعجم الشعري عنصرا مهما في بنية الخطاب الشعري لارتباطه بالمستويات التركيبية والدلالية لهذا الخطاب، وقد اهتمت الدراسات الحديثة بمستوى المعجم الشعري لأنه يعبّر عن "حقيقة اللغة التي يكتسبها الفرد عن طريق معرفة المفردات الخاصة، التي تتوافر على تشكيل الخطاب وبنائه، فالمعجم

يتجاوز المفردات، ولكن لا يبلغ إلا بها، ولا تكون المفردات إلا بوجود المعجم، لأنها تعدّ عينة منه، وعلى الرغم من أنه يصعب معرفة عدد الكلمات التي تكون معاجم اللغة، إلا أن عددها محدّد نسبيا في اللغة المعينة، وهو قابل للإثراء والازدياد والافتقار" (عزوز، 2002م، ص09).

رصد الباحث خصائص المعجم في آخر فصل من مدونته النقدية، محاولا تطبيق ما أورده من وصف نظري في الفصل الأول عن شعر الطفولة الجزائري، وقد صرّح قائلا "والواقع أننا كنا قد ألمحنا في الفصل الأول من هذه الدراسة إلى المحاور الرئيسية التي كوّنت الموضوعاتية، ونحسب أنه قد آن الأوان لتوضيح ذلك وتفصيله بصورة أكثر إشراقا" (مرتاض، 1993م، ص81)، وقد أحصى فيه ستة معاجم ضمّت ما لا يقل عن 172 لفظة، وقد لخّصها في ستة محاور: الوطن، العلم الوطني، الثورة وما في حكمها، الشهداء والتضحية وما في حكمهما، الجهاد، الدم والعذاب والقتل والشقاء والدموع والألم وما في حكمهما.

عرّج الباحث إلى الكشف عن مدى تلاؤم هذا الخطاب الشعري مع مستوى الأطفال، كما حاول البحث عن قضايا أخرى هي:

- مدى توفّر النظم في المجموعات الشعرية.
- ترتيب الشعراء على حسب ما يملكون من تجربة ثرية.
- الإشادة بقصائد المجموعات لتوفّرها على"مدلول ألسني في المستوى وذات إيقاع رائع بالإضافة إلى ما تحمله من قيم خلقية وجمالية وتاريخية ودينية وغيرها" (مرتاض، 1993م، ص94).

نجد أن الباحث من خلال تقصّيه لهذه القضايا قد ابتعد عن الموضوع الرئيسي (الحب)، كما أن هذه القضايا ليست ذات صلة وثيقة بالمعجم الفني، ما عدا تأكيده على أن المعجم الشعري "لم يبتعد كثيرا عن متعارف الأطفال وثقافتهم البسيطة الأولى وإن غربت منهم لفظة أو صفة" (مرتاض، 1993م، ص93)، كما نسجل أن المعجم الفني لدى الباحث يحتاج إلى تفسير وتعليل أكثر خصوصا أثناء اعتماده الإجراء الإحصائي.

خلص الباحث أخيرا إلى أن هذه "الدواوين قد أخذت على نفسها عهدا بتصحيح الاعوجاج ونشر المبادئ المثلى والقيم وزرع الخير والأمل والسرور، وتشجيع الطفل على العمل والجد والمثابرة، ودفعه إلى احترام الكبير وتقدير الجهد الإنساني" (مرتاض، 1993م، ص103)، فالباحث في تحليله رصد المضامين التي تتوفر عليها هذه النصوص الشعرية التي نظمت خصيصا للأطفال، والتي امتازت بلغتها السهلة.

6. في المنهج:

تعدّ دراسة محمد مرتاض (الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري) أول ممارسة جزائرية تفصح صراحة عن انتمائها المنهجي للموضوعاتية، إذ يصرح فيها بأن "كلمة موضوعاتية مصطلح جديد في الأدب العربي وصل إلينا عن طريق التأثير الذي أتتنا أمواجه من الغرب (...) وبما أن لغتنا العربية ونقدنا العربي الأصيل لا يأبيا هذا التأثير ولا يمجانه، بل يهفوان إليه ويرحبان به، فإننا ارتأينا أن نطبق هذا المنهج أو هذه المحاولة التي لم تتبلور بعد، ولكن ذلك لا يمنعنا في هذه الدراسة المتواضعة التي أفادت من محاولات السابقين، والتي هي مدينة لهم بفضل هذا السبق بطبيعة الحال، وليس نافلة القول أن أذكر مجلة دراسات سيميائية التي تعرضت إلى الموضوعاتية في عدديها الثاني والثالث" (مرتاض، 1993م، ص: ب).

غير أن الباحث اعتمد المقاربة الموضوعاتية بصورة واهية، وإن كان أفاد من بعض الإجراءات المنهجية الإحصائية والبنيوية التي استوحاها من مقاربة الباحث عبد المالك مرتاض الموسومة ب (بنية الخطاب الشعري) (ينظر: مرتاض، 1986م)، لذا قد جاءت إفادته من إجراءات النقد الموضوعاتي بصورة محدودة.

إضافة إلى ما تقدم نسجل – أيضا– أن الباحث مرتاض لم يوظف المصطلح الموضوعاتي، عدا ما ذكره عن مصطلح (الموضوعاتية)، الذي تداخل مع دلالة (الموضوع)، ومصطلح (التيمات) الذي ورد مرّة واحدة، كما اعتمد مصطلح (المحاور الرئيسية) كبديل عن (الموضوعات الفرعية)، أما سائر المصطلحات فللبنيوية الحظ الأوفر منها (بنية، الفضاء، المعجم الفني، الزمن الأدبي، الصورة الفنية)، وهذا في ظل غياب مصطلحات النقد الموضوعاتي (الموضوع، الموضوع الرئيسي، الموضوعات الفرعية، فروع الموضوعات الفرعية، التكرار، الترداد، الجذور...) وغيرها.

4. خاتمة:

من خلال ما تقدّم نخلص إلى تسجيل النتائج التالية:

– أن النقد الموضوعاتي لا يزال في بداياته، ذلك لأنه يفتقر للإجراءات المفاهيمية في مدونتنا النقدية الجزائرية خصوصا، والعربية عموما وحتى المرجعية الغربية، فقد حاول أنصار هذا التوجه (بيار ريشا رد – جون بول ويبر – عبد الكريم حسن...) جعله منهجا مستقلا بذاته، إلا أنهم لم يتمكنوا من تقديم نظرية متكاملة سواء على مستوى التأسيس النظري أو على مستوى الإجراء التطبيقي.

– يعد النقد الموضوعاتي جزءا أو مستوى من مستويات التحليل البنيوي أو النصاني، إذ لا يتجاوز الشكل التصنيفي لنظرية الحقول الدلالية.

– يعد محمد مرتاض أول باحث جزائري يعلن صراحة اعتماده النقد الموضوعاتي في مدونته الموسومة ب "الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري"، وقد وظف الباحث في مقاربته النقدية لشعر الطفولة الجزائري إجراءات المنهج البنيوي، معتمدا المستويات التالية: الصورة الفنية، الفضاء الشعري، الزمن الأدبي، والمعجم الشعري، وهي نفس المستويات التي اعتمدها الباحث عبد المالك مرتاض في مقاربته لقصيدة أشجان يمانية في مدونته الموسومة ب: "بنية الخطاب الشعري، دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية"، لذا جاء توظيفه لإجراءات النقد الموضوعاتي محدودة.

– لم يوفق الباحث محمد مرتاض في انتهاج النقد الموضوعاتي، فقد كانت إفادته لإجراءات هذا المنهج بصورة محدودة، قد حصرها في مصطلح الموضوع ونظرية الحقول الدلالية، مقصيا بقية المصطلحات والآليات الخاصة بهذا المنهج، فالمستويات التي اعتمدها في الفصل التطبيقي هي أقرب لإجراءات المنهج البنيوي.

5. قائمة المصادر والمراجع:

01– أوستين وارين، ورونيه ويلك، نظرية الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، (1972م)، مطبعة خالد الطرابلسي.

02– بوعزة محمد، تحليل النص السردي، (2010م)، ط01، منشورات الاختلاف، الجزائر.

03 – وغليسي يوسف، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، (2002م)، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر.

04 – وغليسي يوسف، مناهج النقد الأدبي. مفاهيمها وأسسها وتاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية، (2010م)، ط03، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر.

05 – حسن عبد الكريم، المنهج الموضوعي– نظرية وتطبيق، (2006م)، ط03، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

06 – حمداوي جميل،(2011م)، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، www.arabicnadwah.com، بتاريخ، 28 أفريل 2011م، التوقيت: 24 AM: 5.

07 – يزلي عمار، (1997م)، مقاربة موضوعاتية لدراسة الأهزوجة النسوية عن حرب التحرير، مجلة الحداثة، العدد 01، ص ص (175،181).

08 – مرتاض محمد، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري، (1993م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

09– مرتاض عبد المالك، بنية الخطاب الشعري، دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية، (1986م)، دار الحداثة، بيروت.

10– سعدي مليكة، (ديسمبر 2011م)، أصول النقد الموضوعاتي ومفاهيمه، مجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، كلية الآداب واللغات، جامعة معسكر، العدد02، ص ص (151–156).

11 – علوش سعيد، النقد الموضوعاتي، (1989م)، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط.

12 – علوش سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، (1984م)، منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء.

13– عزوز أحمد، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، (2002م)، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق.